ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

قوله تعالى ﴿ وَلا يَصُدُّنَّكَ .. ﴿٨٧﴾ ﴾ [القصص] أى :لا يصرفنك ولا يمنعنك المشركون ﴿ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ .. ﴿٨٧﴾ ﴾ [القصص] أى : قراءتها وتبليغها للناس ، وقوله : ﴿ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [القصص] هذا أيضاً داخل فى (إياك أعنى واسمعى يا جارة) لأن رسول الله أبعد ما يكون عن الشرك ، وليس مظنة له .

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ .. ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص] كسابقتها ؛ لأن رسول الله ﷺ ليس مظنة أن يدعو مع الله إلهاً آخر ﴿ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ .. ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص] أى : لا معبودَ بحق إلا هو .

ولو كان معه سبحانه وتعالى آلهة أخرى لواجهوه : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الإسراء] أى : سَعَوْا إليه لينازعوه الألوهية ، أو ليتقرَّبوا إليه .

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ .. ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص] الوجه فى عُرْفنا ما به المواجهة فى الإنسان ، وكل شىء يصف به الحق سبحانه نفسه علينا أنْ نصفه سبحانه به ، بناءً على وصفه فى إطار قوله سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى]

فالحق سبحانه له وجه ، لكن ليس ككل الوجوه ، وهكذا في كل الصفات التي يشترك فيها الحق سبحانه مع الخَلْق ، وأنت آمنتَ بوجود الله ، وأن وجوده ذاتي ، ليس كوجودك أنت .

وقوله : ﴿كُلُّ شَيْءٍ .. (٨٨)﴾ [القصص] كلمة شيء يقولون : إنها جنس الأجناس يعني : أي موجود طرأ عليه الوجود يسمى (شيء) مهما كان تافهاً ضئيلاً . وقد تكلم العلماء في : أيطلق على الله تعالى أنه شيء لأنه موجود ؟

قالوا : ننظر في أصل الكلمة (شيء) من شاء شيئاً ، فالشيء شاءه غيره ، فأوجده ؛ لذلك لا يقال لله تعالى شيء ؛ لأنه سبحانه ما شاءه أحد ، بل هو سبحانه موجود بذاته .

وفي آية أخرى يقول تعالى في عمومية الشيء : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ .. (٤٤)﴾ [الإسراء] يعني : كل ما يُقال له شيء موجود سبق وجوده عدم ، إلا يسبح بحمد الله ، البعض قال : هو تسبيح دلالة على موجدها ، وليس تسبيح مقالة حقيقية ، لكن قوله سبحانه ﴿وَلَـٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ .. (٤٤)﴾ [الإسراء] يدل على أنه تسبيح حقيقي ، فكل شيء يُسبِّح بلغته وبما يناسبه .

وقد أثبت الله تعالى منطقاً للطير وتسبيحاً للجبال ، ولو فهمتَ لغة هذه الأشياء لأمكنك أنْ تعرف تسبيحها ، لكن كيف نطمع في معرفة لغات الحجر والشجر ، ونحن لا نفهم لغات بعضنا ، فإذا لم تكن تعرف مثلاً الإنجليزية ، أتعرف ماذا يقول المتحدث بها لو سبّح بها الله وهو بشر مثلك يتكلّم بنفس طريقتك وبنفس الأصوات ؟

لذلك يقولون في معجزاته ﷺ : سبَّح الحصى في يده ، والصواب أن نقول : سمع رسول الله تسبيح الحصى في يده ، وإلاَّ فالحصى

يُسبِّح فى يد رسول الله ، ويُسبِّح فى يد أبى جهل . ومن ذلك أيضاً حنين الجذع لرسول الله ﷺ . ثم ألم يقل الحق سبحانه : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ .. (٦٨) ﴾ [النحل]

ألم يَقُلْ عن الأرض : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) ﴾ [الزلزلة] ؟ ألم يُثبت للنملة كلاماً ؟ ألم يكلم الهدهد سليمانَ عليه السلام ، وفهم منه سليمانُ ؟

إذن : لكل جنس من المخلوقات لغته التى يفهمها أفراده عن بعض ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ .. (٤١) ﴾ [النور] وإنْ شاء الله أطلع بعض خَلْقه على هذه اللغات ، وأفهمه إياها .

ومعنى ﴿ هَالِكٌ .. (٨٨) ﴾ [القصص] البعض يظن أن الهلاكَ خاصٌّ بما فيه روح كالإنسان والحيوان ، لكن لو وقفنا عند قوله تعالى : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ .. (٤٢) ﴾ [الأنفال]

إذن : فالهلاك يقابله الحياة ، فكل شىء يهلك كانت له حياة تناسبه ، وإنْ كنا لا نفهم إلا حياتنا نحن ، والتى تذهب بخروج الروح .

ومعنى : ﴿ إِلاَّ وَجْهَهُ .. (٨٨) ﴾ [القصص] أى : إلا ذاته تعالى ، ولم يقُلْ : إلا هو ؛ لأنه تعالى ليس شيئاً ، وللوجه هنا معنى آخر ، كما نقول : فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجه الله يعنى : فعلت والله فى بالى ، فالمعنى : كل شىء هالك ، إلا ما كان لوجه الله ، فلا يهلك أبداً ؛ لأنه يبقى لك وتنال خيره فى الدنيا وثوابه فى الآخرة .

ثم يقول سبحانه : ﴿ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨) ﴾ [القصص] أى : له الحكم فى الآخرة يوم يقول ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ .. (١٦) ﴾ [غافر] لكن

لماذا خصَّ الملك يوم القيامة ، وهو سبحانه له المُلْك الدائم فى الدنيا وفى الآخرة ؟ قالوا : لأن هناك مُلْكاً فى الدنيا ، يُملِّكه لخَلْقه ، كما قال سبحانه فى النمرود : ﴿ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ .. (٢٥٨) ﴾ [البقرة] وقال سبحانه : ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ .. (٢٦) ﴾ [آل عمران]

إذن : فالملْك مُلْك الله ، وهو سبحانه الذى يُملِّك خَلْقه فى الدنيا دنيا الأسباب ، لكن فى الآخرة تُنزع الملكية من أىِّ أحد إلا لله وحده . حتى إرادة الإنسان على جوارحه تُسلَب منه ، فتشهد عليه بما كان منه فى الدنيا .

وإنْ أردتَ أن تعرف الآن صدْق هذه المسألة فانظر إلى الأمور القدرية التى تجرى عليك ، كالمرض وكالموت وغيرها ، هل تستطيع أنْ تتأبى عليها ؟

ثم يقول سبحانه : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨) ﴾ [القصص] أى : للحساب فى الآخرة ؛ لأن الله تعالى لم يخلقنا عَبثاً ، ولن يتركنا هملاً ، بل لابد من الرجوع إليه ليحاسب كلاً منكم على ما قدَّم ، وما دُمْتم قد عرفتم ذلك ، فعليكم أن تحترموا المرجع إلى الله ، وتنظروا ماذا طلب منكم .

والمتتبع لهذا الفعل فى القرآن يجد أنه جاء مرة مبنياً للمجهول (تُرجعون) وهو للكافر الذى تأبَّى على الله ، فنقول له : ستُرجع إلى الله ، وتُقذف فى النار غَصباً عنك ، ورَغْماً عن أنفك ، فإنْ تأبَّيْتَ على الله فى الدنيا ، فلن تتأبَّى عليه فى الآخرة ، ويأتى مبنياً للمعلوم (ترجعُون) وهو للمؤمن الذى يشتاق لثواب الآخرة فيتهافت بنفسه ويُقبل عليه .